تهميش مثل هؤلاء الصهيونيين ودفعا بهم بعيداً من المركز ومن مجال صنع القرار، لذا لم تظهر سياسة صهيونية فعالة تجسد الادراك الصهيوني للعربي الحقيقي.

٣ ـ هناك، اخيراً، النمط الثالث، وهو اكثر الانماط شيوعاً. النمط الذي يؤدي ادراكه للعربي الحقيقي الى مزيد من الشراسة الصهيونية. وهنا يجب ان نطرح هذا السؤال: لم هذه الاستجابة الشرسة من جانب هؤلاء ؟ والاهم من ذلك، بم نفسر شيوع هذا النموذج ؟ ومرة اخرى، سنحاول ان نطرح التفسيرات الاخلاقية جانباً. فهي تفسيرات نهائية مطلقة، ولن يفيدنا كثيراً ان نقول ان استجابة هذا النمط الثالث نابعة من عمق الشر الكامن في انفسهم (فنسبة الشر واحدة تقريباً، في كل البشر). ولذا، فلنحاول ان نصل الى تفسير يعمق ادراكنا بتفاصيل الواقع وآلياته.

لقد ذكرنا من قبل ان ثمة اسباباً مختلفة هي التي تحدد كيفية تحول ادراك ما الى سلوك. وقلنا انها اسباب سياسية واجتماعية ونفسية وعصبية، ولكننا لا يمكن ان نغوص، هنا، في الجوانب العصبية او النفسية، مع ادراكنا لاهميتها، لان مثل هذا يتطلب معرفة حقائق ومعطيات ليست متوفرة الآن. كما ان الجوانب العصبية والنفسية قد تفسر الاختلافات الفردية بين الزعماء والمفكرين الصهيونيين، ولكن لا يمكنها ان تفسر، بأية حال، الاختلافات العامة ذات الطابع السياسي والاجتماعي. ولذا، قد يكون من المفيد ان نحاول التفكير في الاسباب السياسية والاجتماعية وحدها. وقد بيّنا من قبل ان التحيز الايديولوجي هو احد المحددات الاساسية للادراك؛ ويمكننا ان نضيف، هنا، عنصراً آخر، هو ميزان القوة: فقبل العام ١٩٤٨، كانت الامبريالية الغربية مهيمنة على معظم العالم، بما في ذلك العالم العربي؛ ولم تكن القومية العربية قد تحددت معالمها، بعد، كقوة يحسب حسابها. ولم يكن الوضع في فلسطين احسن حالاً، اذ ان القوى الاجتماعية هناك لم تكن، هي الاخرى، قد تبلورت، وبالتالي لم يكن قد تبلور، بعد، تفكير ثوري نضالي قادر على تعبئة الجماهير، من كل الطبقات والاديان، ضد عدو يتهددها كلها بالطرد والفناء. لكل هذا، كان العربي الحقيقي، حينما يظهر على شاشة الوعي الصهيوني، يبهت ويشحب، ثم يصبح هامشياً، ويختفي ازاء موازين القوة التي لم تكن في صالحة. فلو ان هذا العربي الحقيقي كانت تسانده القوة اللازمة، لثبت الادراك في وعي الصهيونيين ولظل العربي الحقيقي حقيقياً ثابتاً يقام له حساب ووزن، ولتحول هذا الادراك الى برنامج سياسي والى سلوك محدد يأخذ العرب في الحسبان؛ ولربما امكن، حينئذٍ، للشخصيات الصهيونية، امثال ابشتاين، ان تصبح هي الشخصيات القيادية صاحبة القرار. ولكن العربي كان ضعيفاً، ولذا اصبح من الممكن تغييبه او تهميشه.

ان ما اقترحه، من الناحية المنهجية، ان نرى بنية الادراك وشكله (الطيف الادراك)، لا في ضوء التحيزات الايديولوجية وحسب، وانما في ضوء بنية القوة الموضوعية (او موازين القوة)، اذ لا يمكن ان نرى الواحد دون الآخر، ولا يمكن تفسير الواحد دون الاخر. فالعربي، ككيان امبريقي، كان هناك، موجوداً امام الجميع، والاحصائيات لابد وانها كانت متوفرة، والصراعات كانت دائرة، واستعدادات الصهيونيين «للدفاع عن انفسهم» ضد العرب كانت قائمة على قدم وساق، منذ اليوم الاول. ومع هذا، ظهر العربي متخلفاً وهامشياً في وجدان الصهيونيين. وحينما ظهر حقيقياً، تقرر تهميشه وتغييبه حسبما يتطلب التحيز الايديولوجي الذي تسانده القوة. هذا هو الذي يفسر موقف النمط الثالث (وهو الاكثر شيوعاً) من الصهيونيين الذين يسمون بـ «المتطرفين»، والذين نسميهم بـ «الواقعيين». فهؤلاء ادركوا العربي الحقيقي، فاصبحوا اكثر ضراوة وشراسة، بسبب هذا الادراك لا رغماً عنه. فـ «الآخر» اذا اصبح حقيقياً، فانه يشكل تهديداً حقيقياً للذات، اما اذا كان هامشياً، فانه لا يمثل خطراً كبيراً. ان الصهيونيين المتطرفين هم اكثر الناس ادراكاً لخطورة العربي الحقيقي ولطبيعة المشروع